

اكتشاف الزجاج البركاني السوري

ترجمة: د. هيثم فرحات

2012-10-21

لقد أمارت عالم آثار من جامعة شيفيلد اللثام عن أصل الأدوات الحجرية الحادة وطرقها التجارية العائدة إلى 4200 سنة خلت في سورية.

إن المواقع الأثرية والتراث الثقافي في سورية في خطر نتيجة الأزمة الحالية. ويطمح فريق بحثي من مختلف الاختصاصات أن يساهم هذا الاكتشاف الجديد، الذي له آثار ونتائج كبيرة وهامة في فهم ومعرفة الإمبراطورية العالمية الأولى، في تسليط الضوء على أهمية حماية تراث سورية. عند تصدع الصخر البركاني، بوصفه زجاجاً بركانياً طبيعي الحدوث، يصبح أملساً وصلداً وأمضى من مبضع جراحي، جاعلاً منه مادة خام مطلوبة في صناعة أدوات حجرية لهجمل التاريخ البشري. في الواقع، استمر استخدام الأدوات الصخرية البركانية على امتداد الشرق الأوسط القديم لآلاف السنين قبل تمهيد السبيل للمعادن، وما تزال الأنصال الصخرية البركانية مستخدمة في يومنا هذا بوصفها مباحث لإجراءات طبية تخصصية.

في تعاون من مختلف الاختصاصات، قام باحثون في العلوم الاجتماعية والأرضية بدراسة الأدوات الصخرية البركانية المستخرجة من موقع **تل موزان** الأثري الواقع في سورية بالقرب من الحدود مع تركيا والعراق. نجح فريق العمل، مستخدماً طرائق وتقنيات حديثة، في الكشف عن الأصول والتحركات المجهولة للمادة الخام المنشودة في أثناء العصر البرونزي، لما يزيد عن أربع آلاف سنة خلت. إن معظم الصخور البركانية في تل موزان (والمواقع الأثرية المجاورة) ناجمة عن براكين تبعد 200 كم عن ما يُعرف الآن بشرق تركيا، كما هو متوقع من نماذج التجارة القديمة التي اكتشفها علماء الآثار خلال العقود الخمسة المنصرمة. مع هذا، اكتشف فريق العمل مجموعة من الصناعات الصخرية البركانية اليدوية الغربية الناجمة عن بركان في تركيا الوسطى على مسافة أبعد بثلاثة أضعاف من ذلك. وكما بعدها أهمية مكان العثور عليها: فناء قصر ملكي. لقد أبقى على هذه الصناعات اليدوية في أثناء أوج الإمبراطورية الأولى في العالم، الإمبراطورية الآكادية، التي غزت سورية في العصر البرونزي. إن لهذا الاكتشاف أبعاد مثيرة لفهم الروابط بين الموارد الطبيعية والإمبراطوريات في الشرق الأوسط.

يقول قائد فريق البحث الخبير المخضرم الدكتور إليري فرام، قسم الآثار، جامعة شيفيلد: "إن هذا الاكتشاف نادر، إن لم يكن فريداً من نوعه في شمال بلاد الرافدين على نحو يفتح آفاقاً جديدة لتغيير اقتصاد العصر البرونزي وجغرافيته السياسية. يمكننا تحديد أصول الصناعات الصخرية البركانية اليدوية لأن لكل مصدر بركاني "بصمته" المميّزة. لهذا، يعد مصدر الصخور البركانية وسيلة فعالة لإعادة تصور الطرق التجارية السالفة، والحدود الاجتماعية، ومعلومات أخرى تمكننا من الانخراط في مناظرات علوم اجتماعية جوهريّة." ولم يقم فرام والمشاركون معه في البحث بتحديد البركان عينه الذي نجمت عنه الصناعات اليدوية وحسب، بل استطاعوا تحديد فوهة البركان الدقيقة التي جُمع الصخر البركاني منها وأنه تم جمع المادة الخام من موقعين مختلفين على منحدراته. إن هذه الدقة واردة من خلال استخدام جملة من التقنيات العلمية وما تحتويه من محلل أشعة سينية محمول يمكن إحضاره إلى المواقع الأثرية، وأدوات لقياس الإشارات المغناطيسية داخل الصخور.

لقد طُوِّرت =src
بصورة جزئية
أحدث
التقنيات
لمطابقة
الصناعات
الصخرية
البركانية
اليدوية مع
أصولها
البركانية
في جامعة
شيفيلد
على يد

عالم الآثار الشهير كولين رينفرو، المحاضر في قسم "ما قبل التاريخ والآثار" من عام 1965 إلى عام 1972. ثم أُرْدِف فرام قائلاً: "نحن مستمرّون، بعد عقود، في تحديث التقنيات الأصلية، فالتكنولوجيات الحديثة تمكننا من اختبار مقاربات جديدة، إذ يمكن لأدوات التحليل الفعّالة أن ترافقنا إلى المواقع، وتمكننا الأدوات المغناطيسية الحساسة من كشف المقالع الحجرية، فلم يكن هذا المستوى من الدقة واردةً سابقاً. تكشف نتائج بحثنا في تل هوزان تواجد المزيد من المفاجآت في الشرق الأوسط أيضاً، بوصفه مرقدًا لمصادر الصخور البركانية." وينوه فرام إلى أن "دراسة استخدام الصخور البركانية وأصولها تكشف تطابقات مقنعة مع الشرق الأوسط الحديث ولها صدى يعكس القضايا التي تواجهها المنطقة في الوقت الراهن. فنعتقد، على سبيل المثال، أن القوى

الغازية المصممة على التحكم بالحصول على الموارد الطبيعية القيمة قد واجهت مقاومة الاحتلال من دول صغيرة عبر المنطقة تحكمها شعوب كانت أقليات إثنية متواجدة في أماكن أخرى من الشرق الأوسط.

"فقد ينجم عن تمرد جبلي حصار على الموارد الطبيعية، وقد يسعى المستعمرون للحصول على الموارد من مصادر بعيدة، وعقد تحالفات مع قوى إقليمية أخرى للرفع من شأنهم. يعود هذا الأمر إلى 4200 سنة خلت في أثناء العصر البرونزي، فالتطابقات مع تاريخ المنطقة الحديث مذهلة." إن العلاقة بين العاملين الإنساني والأثري في المنطقة تقع في صلب اهتمامات الدكتور فرام أيضاً. ثم أردف قائلاً: "بصفتي أمريكياً، ذهبت إلى سورية بعد أن عدت الولايات المتحدة سورية جزءاً من "محور الشر"، وعشت تجارب إيجابية هناك، ليس إلا، إذ كانت درجة الحفاوة التي لمستها مذهلة. فأناس غرباء عني تماماً استضافوني في بيوتهم في أثناء رحلتي بحافلة استغرقت تسع ساعات من دمشق إلى الموقع الأثري عبر الصحراء السورية. لقد رُجِب بي، وقُدِّم لي الطعام والساء والملبس، وعُرِّفت على عائلات وأصدقاء وعلى معالم البلدة، إذ تسابق أفراد العائلة فيما بينهم على أفضل بيت أمضي ليلتي فيه."

"إن الوضع الراهن في سورية مأساوي وخطر، فأنا أتابع التطورات في سورية عن كثب من منطلق اهتماماتي المهنية والشخصية. إن ابتعادي عنها لأمر قاهر ومفجع، لكن على عكس الناس الذين يعايشون القتال، أتميز عنهم بمتعة العمل. وبغض النظر عما سيحمله المستقبل، ثمة أعمال إنسانية وأثرية كثيرة يمكن القيام بها هناك، فإنني مهتم للغاية في التفاعلات فيما بينها. كيف يمكن لعلم الآثار أن يسهم في استعادة سورية لعافيتها؟ تسبر دراسته اللاحقة عن الصناعات الصخرية البركانية اليدوية ما حلّ بالشبكات التجارية والاجتماعية عندما تم التخلي عن مدن العصر البرونزي في أعقاب انهيار حكومي إقليمي وزيادة الجفاف بسبب التغيرات المناخية.

المراجع

- [Distinguishing Nemrut Dağ and Bingöl A obsidians: geochemical and landscape differences and the archaeological implications](#)
- [Syrian Obsidian Discovery Opens New Chapter in Middle Eastern Studies](#)